أشواك الزنبق

- من منا لا يحلم بالقضاء على مصدر ألامه، أحزانه، وخيبة أمله، دون أن يصبه سوء من جراء ذلك!

كنت أتابع صوتها الذكوري من خلف الأبخرة المتصاعدة من مبخرتها بلا مبالاة مغلفة بحزن، وقد أصبحت تلك اللامبالاة الحزينة هي نهجي في الحياة، إلا أنني فجأة تخليت عنها؛ لحظة أن شممت تلك الرائحة المألوفة لدي و التي عبقت الغرفة، تَلفّتُ حولي باحثة عن مصدرها وأنا أهمس:

- الزنبق الأبيض!

ليدهمني صوته قادما من حنجرة الغجرية:

- دائما ما تُذكّرينني بالزنبق الأبيض في صفائه وجماله..

ارتسمت على وجهي علامات الهلع وأنا أنظر إليها، إلا أنها استقبلت هلعي بابتسامة مخيفة زادتني هلعًا، ثم أمرتني بحزم:

- انظري..

كانت تشير إلى بلَّوْرة أمامها بها ماء شديد الصفاء، لكنها ما أن تمتمت عليها ببضع كلمات لم أعِ معناها، حتى تعكر صفو الماء و فار، وامتلأت البِلَّوْرة بما يشبه الضباب تتخلله أطياف متراقصة لثلاث

ساحرات؛ إحداهُنَّ تتشح بوشاحٍ أبيض، نَظرْتُ للغجرية بغضب وثبات وأنا أقول:

- نعم، هُنَّ!

- وهل أنتِ متأكدة مما تريدين فعله؟!

جذبتني الذكرى..

- حبيبي اهتمام أهلك بمسألة الإنجاب مبالغ فيه، لم يمضِ على زواجنا سوى بضعة أشهر .

- إنها العادات، لا تعيريهم اهتمامًا ،فلا شيء عندي أغلى من زنبقتي!

نظرت لها بحزم:

- افعلي!

جَذبت يدي إليها بقوة وهي تتمتم بطلاسمها، وإذ بوخزة في إبهامي جعلتني أنتفض، ثم أراها تُسقِط ثلاث قطرات من دمي على البِلَّوْرة، لتُلقي إليّ بيدي بعنف معلنةً عن انتهاء الجلسة، نظرتُ لها متوجسةً وأنا أنفحها المال، لكني مضيت دون أن أنطق بكلمة.

وفي طريق العودة لبيتي؛ وردني اتصال جعلني أغير وجهتي.

دخلت قاعة الاستقبال بالمستشفى في هدوءٍ وثبات لا يتناسبان مع الموقف، لأجده منهارًا بملابس العرس على أحد المقاعد واضعًا رأسه

بين راحتيه، اقتربت منه بنفس الهدوء فغمره عبير الزنبق المنبعث مني، التفتَ إليّ بأعين تملؤها الدموع، وبصوت يغالب البكاء؛ قائلًا:

- لم ينجُ أحد سواي، ثلاثتهُنَّ مُتن على أثر الحادث، أمي، أختي وابنة عمي، هذا ذنبُك!

ثم ارتمى في حضني كطفل صغير جاهشًا بالبكاء، أخذت أُربت على شعره بينما أقول له وقد عدت للامبالاتي الحزينة:

- حبيبي، أنا حامل!

تمت

بقلم / رشا فوزي